منطقة الحضنة والاحتلال الاستدماري الفرنسي عام 1840

د / محمد قويسم
جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة

ملخص:
منطقة الحضنة منطقة من مناطق الجزائر تتميز بالاتساع الجغرافي، عرفت عدة تسميات عبر التاريخ القديم والوسيط وآخرها الحديث والمعاصر الذي عرفت فيه بالحضنة خلال العهد العثماني، تعرضت مثل مناطق الجزائر الأخرى لمصيبة احتلال الاستدمار الفرنسي سنة1840م لعدة أسباب داخلية ومحلية وخارجية.

Summery :
District of al Hodna in Algeria named since ottman epoch, in ancient and medieval history had name al zab,it is a wide area consist of mountains and plain and desert ,occupied by French colonial regime in1840 own to many internal and external causes .

Keywords, Algeria, French colonial regime, al Hodna, al zab, District

مقدمـة :
الجزائر بلد عربي مسلم واسع الأرجاء يتكون من عدة مناطق مشهورة عبر التاريخ مثل توات ، التيطري، الزاب، ريغ، والحضنة، هذه الأخيرة هي موضع هذه الدراسة لمعرفة تكوينها ودلالات تسميتها الجغرافية والاجتماعية ، وكيفية سقوطها في مصيبة الاستدمار الفرنسي مند1840 ؟

1ـ منطقة الحضنة المصطلح والدلالات :

حتى يمكن معرفة منطقة الحضنة ومدلولاته الجغرافية والاجتماعية الدقيقة ينبغي تتبع ذكر منطقة الحضنة في المصادر والمراجع العربية خلال العصر الوسيط أولا كمايلي:

أ ـ اليعقوبي (ت284هـ/927م) :

ذكر: "**ومن القيروان إلى بلاد الزاب عشر مراحل ومدينة الزاب العظمى طبنة...والزاب بلد واسع فمنه مدينة قديمة يقال لها باغاية ومدينة يقال لها تيجس ومدينة يقال لها سطيف ومدينة يقال لها نقاوس ومدينة يقال لها مقرة لها حصون كثيرة،ومدينة أربة وهي آخر مدن الزاب مما يلي المغرب في آخر عمل بني الأغلب ولم يجاوزها المسودة، وإذا خرج الخارج من عمل الزاب مغربا صار إلى قوم يقال لهم بنو برزال وهم فخذ من بني دمر من زناتة وهم شراة كلهم**"[1] بمعنى في عهد اليعقوبي كان مصطلح الزاب ومن أهم مدنها أربة التي يعتقد أنها أزبة وهي زابي مدينة المسيلة القديمة.

ب ـ ابن حوقل (ت367هـ/977م) :

ذكر المسيلة ولم يذكر لفظ آخر، لأن المحمدية أو المسيلة كانت في هذه الفترة مدينة الحضنة الأولى[2].

ج ـ البكري (ت487هـ/1094م) :

ذكر:" **يخرج(الطريق) من القلعة(قلعة أبي طويل) إلى مدينة المسيلة وهي مدينة جليلة على نهر يسمى بنهر سهر أسسها أبو القاسم اسماعيل بن عبيد الله سنة ثلاث وعشرين وثلاثماية،وكان المتولى لبنائها علي بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجدامي المعروف بابن الأندلسي، واستعمله عليها فلم يزل عليها إلى أن هلك في فتن أبي زيد، وبقى أبي جعفر فيها وصار أميرا على الزاب كله إلى أن خرج عنها في سنة ستين وثلاثماية**"[3].

د ـ الإدريسي (ت 547هـ/1151م) :

ذكر:" **ومدينة المسيلة إلى طبنة مرحلتان وطبنة مدينة الزاب...وتخرج من المسيلة إلى مقرة مرحلة... ومقرة إلى طبنة مرحلة**"[4].

---

1 - البلدان،وضع حواشيه محمد أمين ضناوي،دار الكتب العلمية بيروت لبنان2002،ص190-191 ومدينة أربة أو أزبة غير معروفة هل هي زابي أي المسيلة فيما بعد أم لا، ذكرها ياقوت الحموي وهي أكبر مدينة بالزاب يقال إن حولها ثلاثماية وستين قرية ينظر معجم البلدان ،ج1،ص169

2- صورة الأرض ،بريل ليدن هولندة 1928،ص62 وينظر إسماعيل العربي: المدن المغربية،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984،ص163

3 - المسالك والممالك،حققه وقدم له وفهرسه أدريان فان ليوفن،أندري فيري، الدار العربية للكتاب، بيت الحكمة قرطاج، تونس1992،ج2،ص723،ينظر إسماعيل العربي:مرجع سابق،ص167.168

4 - نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، تحقيق وتقديم وتعليق إسماعيل العربي،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية 1983،ص164. ينظر: اسماعيل العربي:مرجع سابق،ص167.180،168

هـ ـ الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت 555هـ/1160م) :

ذكر في الجزء السادس بلاد المغرب وقسمه إلى ثلاثة أصقاع الصقع الأول افريقية والصقع الثاني المغرب الأقصى من الونشريس حتى البحر الأعظم والصقع الثالث السوس الأقصى إلى بلاد لمتونة بلاد المرابطين و ذكر بالنسبة إلى الصقع الأول افريقية في غربي هذا الصقع في البر مدينة مليانة وزواوة وقسنطينة وقلعة بني حماد ومدينة برشك،أي جعل مسيلة من افريقية[1].

و- مجهول (القرن 6هـ/12م): صاحب الاستبصار ذكر:

"**والمسيلة من بلاد الزاب**"[2]أي حتى القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي كان مصطلح الزاب هو السائد.

ز- أبو الفدا(ت721هـ/1321م) :

ذكر:" **ومدينة مسيلة لها نهر يمر بغربيها ويغوص في الصحاري والرمال وهي شمالي بسكرة ومنها إلى مدينة طبنة أربعة وعشرون فرسخا**" ويضيف:" **ومدينة بسكرة قاعدة بلاد الزاب** "ويضيف :"**وطبنة مدينة الزاب**"[3].

ح- ابن الحاج النميري (ت ق8هـ/14م) :

ذكر:" **وأقام مولانا(أبي الحسن المريني) رضي الله عنه عليها (قسنطينة) حتى تهيأ الاستعداد للتغريب ورتب أحوال قسنطينة أحسن ترتيب، ورحلنا على طريق بازر إلى أن أشرفنا على سطيف...حتى بلغنا الجبل المدارك لعياض،ثم قدمنا على المسيلة خائضين سواقيها بالساقات،مخترقين بطاحها المنفسحة أعظم الاختراقات،وأقام مولانا الخليفة بها حتى أثقلت ظهور الكراع وحملت الأطعمة المختلفة الأصناف والأنواع وأشعر الناس بالمسير على الصحراء**"[4].

ط- الحميري (ت866هـ/1461م) :

ذكر المسيلة من بلاد الزاب بالمغرب،وعن مقرة قال:" **مقرة بينها وبين المسيلة بلاد الزاب مرحلة**"[5].

ي- الوزان (ت947هـ/1550م) :

1 - كتاب الجغرافية،تحقيق عمر حاج صادق ، نشرية الدراسات الشرقية دمشق مجلد 21، 1968،ص107

2- الاستبصار في عجائب الأمصار،نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد 1985،ج6،ص167

3 - تقويم البلدان،تصحيح رينو والبارون ماك كوكين ديسلان ،دار الطباعة السلطانية 1830،ص129

4- فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب،دراسة وإعداد محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي بيروت1990،ص480

5- الروض المعطار في خبر الأقطار،معجم جغرافي مع فهارس شاملة،حققه إحسان عباس،مكتبة لبنان1984،ص556، 558

ذكر :"**مدينة مسيلة مدينة عتيقة بناها الرومان في تخوم صحراء نوميديا داخل الأراضي**"[1]يتضح تأثره بالتاريخ القديم فأستخدم مصطلح نوميديا ، ويقصد زابي المسيلة القديمة خلال الاستدمار الروماني.

ك- كربخال مارمول (ت979هـ/1571م) :

قال:"**مسيلة مدينة عتيقة في طرف نوميديا**"[2]يتضح تأثره أيضا بالتاريخ القديم فأستخدم مصطلح نوميديا وهي الجزائر في التاريخ القديم من حدود قرطاج شرقا إلى واد ملوشا(ملوية) غربا أي ماوراء مدينة وجدة إلى الصحراء جنوبا(جيتوليا).

ل- محمود مقيدش (ت1228هـ/1813م) :

ذكر:" **ومنه المسيلة إلى طبنة مرحلتان وطبنة مدينة الزاب** "ويضيف:" **ثم نخرج من المسيلة إلى مقرة مرحلة**"[3].

وصفوة القول أن منطقة الحضنة في العصر الوسيط كانت تعتبر جزء من الزاب عند معظم الجغرافيين،فمصطلح الحضنة بم يظهر إلا نهاية الحكم العثماني في إطار القيادات التي منحت للعائلات النافذة مثل قيادة خليفة مجانة للشيخ المقراني وقيادة شيخ العرب لبن قانة ومن بعده فرحات بن سعيد بداية الاحتلال الاستدماري الفرنسي الذي امتدت سلطته إلى مناطق من الحضنة الشرقية[4].

الإطار الجغرافي تشكل منطقة الحضنة رأس مثلث سهول عليا(ليست هضاب) محصورة بين الأطلس التلي والصحراوي يتجه من الغرب إلى الشرق قاعدته الحدود المغربية الجزائرية حيث جبال الأطلس المغربية الضخمة،وهذا على إرتفاع1200م عن مستوى سطح البحر ترجع ترسباته إلى الزمن الجيولوجي الثاني والثالث[5].

تمتد منطقة الحضنة على مساحة تقدر ب8600كم وتتخللها المظاهر الطبيعية الكبرى التالية:سلاسل جبال الحضنة-إقليم السهول-شط الحضنة- منطقة الرمل

---

1 - وصف افريقيا، ترجمه عن الفرنسية،محمد حجي، محمد الأخضر،دار الغرب الإسلامي بيروت1983،ص52

2- افريقيا،ج1، ترجمه من الفرنسية محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الاخضر،أحمد التوفيق،أحمد بنجلون،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرباط المغرب 1984،ص381

3 - نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،المجلد الأول،تحقيق علي الزاوي،محمد محفوظ،،دار الغرب الإسلامي بيروت 1988،ص95

4- كمال بيرم: الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في الحضنة الغربية فترة الاحتلال الفرنسي(1840-1954) أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،تحت إشراف د صالح لمبش،قسم التاريخ والآثار،كلية الآداب والعلوم الاجتماعية ،جامعة منتوري2010-2011،ص14. ينظر:

-Paul-louis cambusat,l'évolution des cités du tell en ifrikya du 7 au 11 siécle,office des publications universitaires1986,p22 ,197

5- عبد القادر حليمي:جغرافية الجزائر،مطبعة الإنشاء،دمشق 1968،ص33-34

أ- سلسلة جبال الحضنة :

تعتبر جبال الحضنة حلقة ربط بين السلاسل الأطلسية التلية والصحراوية باتصالها بجبال الأوراس الجنوبية وجبال الحضنة التي تمثل الحدود الشمالية لمنطقة الحضنة، تمتد على شكل سلسلة من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي ممثلة في جبال ونوغة غربا وجبال المعاضيد وبوطالب وبلزمة شمالا إلى جبال الأوراس شرقا والتي تعلوا بين 1400م إلى 2000م عن مستوى سطح البحر(جبال المعاضيد1902م بجبل تاشريرت)،وتعتبر هذه السلاسل الجبلية مصدر أودية الحضنة وشطها كما تعتبر جبال بوسعادة وسالات وجبال أولاد نايل الحدود الجنوبية للحضنة وتربط هذه الجبال وجبال الاوراس سلسلة جبال المحارقة[1].

ب ـ اقليم السهول :

تقع شمال شط الحضنة تتميز بالتنوع والاتساع والارتفاع مابين500 إلى700م وتتخللها الأودية المنحدرة من مرتفعات الشمال مثل وادي القصب ووادي لقان،ويمتد إقليم السهول بين الأطراف المترامية من جنوب السلاسل الشمالية إلى شمال شط الحضنة والتي تزيد مساحتها عن 8500كم2 تأخذ في الشمال محول سهول سيدي عيسى، سهول البحيرة، سهول الحضنة إلى نقاوس شرقا التي تعتبر مدخل الحضنة الشرقية وهي منفتحة في الشرق على السهول القسنطينية المرتفعة،ومن الغرب على السهول الوسطى التلية للجزائر(سهول سيدي عيسى والسلامات،وهي محاطة بمدن الحضنة الرئيسة :مدوكال في الجنوب الشرقي، نقاوس في الشمال الشرقي، المسيلة في الشمال ،سيدي عيسى في الشمال الغربي، بوسعادة في الجنوب[2].

ج ـ منطقة الشط:

يمثل شط الحضنة أهم المنخفضات الواقعة بشمال المغرب العربي من حيث إتساع مساحته وإنخفاضه ويسمى بشط السعيدة نسبة الى منطقة السعيدة القريبة منه ويسمى بشط المسيلة أو الحضنة وأطلق عليه الرومان قديما إسم(salnae tubonese) نظرا لقربه من المدينة الرومانية القديمة طبنة(thubunae) وهو مسطح مائي ممتد في مستوى واحد على الأفق وكأنه قطعة زجاجية من دوار سيدي حملة في الجنوب إلى قرية بانيو(baño)[3] في الشمال، وهو ذات طبقة ملحية خفيفة عديمة النباتات تمون بمياه وادي المسيلة المعروف بوادي القصب ووادي الشلال ووادي بوسعادة ووادي بريكة ووادي اللحم، ويبلغ عدد الاودية والمجاري الهامة التي تصب في الشط حوالي 22 وادكلها فصلية الجريان لفصلية الأمطار[4].

1- حلمي عبد القادر: مرجع سابق،ص33، بيرم كمال: مرجع سابق،ص12،

2- عبد القادر حلمي:مرجع سابق،ص34، يصعب أحيانا تحديد إنتهاء الأقاليم الجنوبية للشط ينظر كمال بيرم:مرجع سابق،ص13.

3- باللغة الاسبانية تعني الحوض. ينظر:

-diccionario española-francesa,Berlitz,lausanne,Switzerland 1989,p28

4- عبد القادر حلمي: مرجع سابق،ص44. ينظر أيضا :

التكوين الجيولوجي لمنطقة الحضنة جعل الشط يمتد على طول 220كم وعرض90 كم ويقدر حوضه ب26000كم2 ،ولايزيد سطح الماء به عن مساحة 80000هكتار ولا تتعدى كمية الأمطار التي تسقط شمال الشط عن 400مم وجنوبه عن 200مم كما لايزيد معدل الحرارة القصوى عن 37 درجة مئوية ولا تقل الدنيا عن 0 درجة مئوية شتاء[1].

د- إقليم الرمـل :

تحيط بشط الحضنة ناحية الجنوب مساحة واسعة من الأراضي التي يطلق عليها أهلها بالرمل،وهي منطقة رملية تمتد بين الحدود الجنوبية لشط الحضنة والحدود الشمالية لسهل بوسعادة، ويبدأ من محور لوطاية إلى جبال بوزكرة والمحارقة في الشرق، إلى واحة بوسعادة في الغرب بمحاذاة صحراء أولاد سيدي إبراهيم وأولاد سيدي مهجرس في الغرب،ويأخذ في الاختفاء كلما كان الاتجاه نحو الغرب والشمال وقد ظل هذا الإقليم موطن تنقل البدو الرحل منه إلى أقاليم التل الشمالية، خاصة من قبائل أولاد سيدي حملة والسوامع[2].

ويحمل مصطلح الحضنة دلالة تضاريسية أو جيومورفولوجية هي الحوض الذي تحتضنه الجبال من جميع الجهات في شكل قوس من الأوراس وجبال بلزمة من الشرق إلى جبال ونوغة غربا عبر جبال بوطالب والمعاضيد شمالا إلى جبال بوكحيل جنوبا والتي تتصل بجبال بوسعادة وجبال سالات[3].

ويحمل دلالة إجتماعية هي الكرم واحتضان من يدخلها ضيفا أو مقيما عبر العصور لدى أعراش المنطقة أولاد ماضي،أولاد منصور، أولاد دراج،أولاد سحنون،أولاد سيدي إبراهيم،أولاد سيدي مهجرس،أولاد سيدي حملة وأولاد عدي[4].

2- مصيبة احتلال الاستدمار الفرنسي للجزائر والحضنة:

أدرج إقليم الحضنة رسميا وليس واقعيا ضمن إدارة وسلطة فرنسا بموجب قرار 30سبتمبر1838 إلا انه لم يخضع لها فعليا إلا في نهاية سنة 1840،وكان مصطلح الحضنة في التقارير الإدارية والعسكرية يعني القيادات التي خضعت لسلطة المقرانيين مثل قيادة الحضنة التي ضمت سنة 1938 مجموعة من المشيخات امتدت

-Vayssette(e), de m'sila a boussaada revue africaine,1861,p298

-matter,chott el- hodna,encyclopaedia britannnica online13 oct 2012hour 21,p1

1- عبد القادر حلمي: مرجع سابق،ص44

2- حلمي عبد القادر: مرجع سابق،ص44

3- المرجع نفسه،ص33-34، كمال بيرم:مرجع سابق،ص14 . ينظر:

-Despois(j),la bordure saharienne de l'Algérie orientale,in revue africaine,1942,p196

4- حلمي عبد القادر: مرجع سابق،ص14 ، كمال بيرم:مرجع سابق،ص 18،فارس كعوان: مساهمة في دراسة أصول بعض الاعراش الحضنية،دفاتر الملتقى الوطني الأول حول تاريخ وأعلام المسيلة،27-29 أفريل 2009، دار الثقافة الشهيد قنفوذ الحملاوي المسيلة ،ص48-53.

جنوب دائرة برج بوعريريج العسكري أو ضمن دائرة بوسعادة العسكرية التي استحدثت سنة 1849إثر مقاومة الزعاطشة[1].

لقد قدم فرحات بن سعيد بن بوعكاز ولائه للجيش الفرنسي مند 1831 واستسلم بوعزيز بن قانة مرغما دون أن ينسى حقده على بن سعيد ، وقدم الاثنان خدمات جليلة للجيش الفرنسي،حيث في مارس 1831 تقدمت شخصيات من عائلات نافذة بالجزائر ولائها للجنرال برثزان(Berthezéne) من بينهم عبد السلام المقراني، بن قانة، الصالح بن يلس، بوضياف بن بوراس فرحات بن سعيد[2].

كما ساهم جانب الانقسامات القديمة بين العروش بدوره في تمهيد طريق الجيش الاستدماري الفرنسي لتدمير المنطقة،حيث أدى الصراع القديم بين عائلة المقراني بمجانة وبين عبد الله بوعزيز شيخ أولاد ماضي في إنقسام الحضنة الغربية إلى صفين،نفس الوقت انقسم عرش أولاد ماضي بالحضنة الغربية إلى صفين مند الفترة التركية وخلال الصراع الذي دار بين أفراد العائلة المقرانية ،صف واد الشلال،صف أولاد ماضي،كما شهدت المنطقة الغربية للمسيلة انقساما في عرش ونوغة إلى قسمين صف موالي للتراك سمي لكحل ودنو،والصف المعادي سمي لبيض ودنو[3].

لقد بدأ إحتلال الجيش الاستدماري الفرنسي لمنطقة الحضنة مند بداية 1840 من خلا ل حملة الجنرال دي نيقري(De Négrier) الذي كون مركز قيادة عسكرية في منطقة الحروش[4] بين سكيكدة وقسنطينة بعد احتلال الأخيرة سنة 1837 من أجل ضمان طرق المواصلات وتهيئة الظروف لإقامة مستدمرات للمستدمرين حيث التربة السوداء الخصبة، ثم بداية التوغل في الجنوب القسنطيني من الشمال القسنطيني حيث وقعت معركة المرجة الزرقة غرب سطيف يوم 29 ماي 1840بين أحمد باي والعدو الفرنسي بقيادة الجنرال دي نيقري التي أتاحت له التوغل والتقدم نحو الحضنة الغربية[5].

كانت حملة ذي نيقري من مدينة قسنطينة نحو المسيلة في 29 ماي 1840 وتدعمت في طريقها بقوم أحمد المقراني بنواحي برج بوعريريج وكان هدف الحملة إخضاع كل المناطق التي كانت تحت سلطة المقرانيين

1- كمال بيرم:مرجع سابق،ص20،أبو القاسم سعد الله:محاضرات في تاخ الجزائر الحديث(بداية الاحتلال) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزئر1982،ص96،

2- كمال بيرم:مرجع سابق،ص21

3- المرجع نفسه،ص22

4 - تأسس الحروش سنة 1849 أي فيما بعد في شمال تلال الكنتور والتوميات في منخفض واد الصفصاف بعد جمع عدة أعراش فيه من عدة مناطق لذلك أصل التسمية العروش ينظر رابح صخري: الحروش،(دون مكان)1990

5- كمال بيرم:مرجع سابق،ص25،أوجين فايست: تاريخ بايات قسنطينة في العهد التركي1792-1873، ترجمة صالح نور،تقديم الشيخ عبد الرحمن شيبان،دار قرطبة للنشر والتوزيع الجزائر 2010،ص274،يحي بوعزيز: المجهولون من زعماء المقاومة في الشرق الجزائري، مجلة الاصالة ،عدد54-55، فيفري مارس 1978،الجزائر،ص35.

قبل الاحتلال في العهد العثماني،وإقامة مواقع متقدمة للتوسع نحو الجنوب الجزائري،وفيما يخص الوسائل الاستفادة من انقسام المقرانيين والخلافات بين القيادات العروشية في الحضنة في إطار سياسة فرق تسد[1].

حيث دخلت القوات الاستدمارية الفرنسية إلى مدينة المسيلة يوم 11 جوان 1841 واستحداث مركز أو برج عسكري بالمدينة في الجهة اليمنى لوادي القصب مدعما بحراسة قوم المقراني وبوضياف بن بوراس هذا الأخير الذي أوكلت له قيادة المدينة ومنطقتها باعتباره أحد أعضاء الوفد الأهلي لسنة 1831،بعد تسليم سكان المعاضيد لحسن بن عزوز إلى أحمد المقراني الذي سلمه للعدو وفشل حامد بن عمر قائد الأمير عبد القادر في استرجاع المسيلة مرورا بمقر زمالة الأمير في ونوغة وانتقاله إلى عين ماضي،ثم تقدمت قوات العدو نحو بوسعادة بدعم من قوات بلخروبي و بوضياف بقرية الشلال،فقام الاستدمار بتأسيس دائرة سطيف في 01أكتوبر1840 لتكون قاعدة إنطلاق ومركز إداري وعسكري لتوسيع دائرة الاحتلال نحو المناطق الجنوبية[2].

خاتمـــة:

خلاصة القول أن منطقة الحضنة في القديم والوسيط كانت تعتبر جزء من نوميديا ثم جزء من الزاب، وإسم الحضنة ظهر في نهاية العهد العثماني، وإسم الحضنة من شكل التضاريس الجبلية المحيطة بجبال وسهول وشط ورمل المنطقة،ويحمل أيضا دلالة اجتماعية هي احتضان السكان بالكرم للعابر والمقيم، لكن الاستدمار الفرنسي أستطاع احتلال المنطقة بالتفوق في القوة العسكرية وبالتفريق بين الأعراش المتصارعة على السلطة والجاه.

1- كمال بيرم: مرجع سابق،ص26

2- المرجع نفسه،ص26-27. أيضا:

-Féraud(ch),les Beni Djelleb,sultans de tougourt note historique sur la province de constantine.revue africaine1884,n28,p122